

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

كُلُّ مِنَّا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا مِمَّنْ يُحِبُّهُمْ، وَأَنْ يَتَوَاصَلَ مَعَهُمْ، وَيَتَحَدَّثَ إِلَيْهِمْ. حِينَمَا نَبْتَعِدُ عَنْهُمْ نُفَكِّرُ فِيهِمْ وَنَشْتَاقُ إِلَيْهِمْ. وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَشْعُرُ بِهَذَا الْقُرْبِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَيِّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَيَسْعَى إِلَى تَقْوِيَةِ عَلاَقَتِهِ بِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ. وَمِنْ أَحْسَنِ السُّبُلِ إِلَى ذَلِكَ؛ الصَّلَاةُ الَّتِي تُعْتَبَرُ مِعْرَاجَ الْمُؤْمِنِ، وَالدُّعَاءُ الَّذِي هُوَ لُبُّ الْعِبَادَةِ. وَالدُّعَاءُ هُوَ أَنْ يُدْرِكَ الْعَبْدُ عَجْزَهُ أَمَامَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَعْرِضَ عَلَى مَوْلَاهُ حَاجَتَهُ وَسُؤْلَهُ. وَالدُّعَاءُ لُغَةً تَوَاصُلٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ. وَهَذَا التَّوَاصُلُ كَمَا قَدْ يَكُونُ بِالْكَلِمَاتِ أحيانًا، فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْ غَيْرِ كَلَامٍ وَبِالْأَفْعَالِ أحيانًا أُخْرَى.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَقْوَى بِمُفْرَدِهِ عَلَى مَقَامَةِ كُلِّ مَا يُوَاجِهُهُ فِي حَيَاتِهِ مِنَ الْمَشَاكِلِ وَالْمَصَاعِبِ. لِذَا يَسْتَعِينُ أحيانًا بِغَيْرِهِ لِيَتَغَلَّبَ عَلَى هَذِهِ الْمَشْكِلَاتِ. وَلَكِنَّهُ تَأْتِي أَوْقَاتٌ يُوَاجِهُ فِيهَا مِنَ الْمَصَاعِبِ مَا لَا يَجِدُ مَعَهَا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَاعِدَهُ عَلَيْهَا. فَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَاتِ يَشْعُرُ الْإِنْسَانُ بِالْحَاجَةِ إِلَى مَنْ يُلْجَأُ إِلَيْهِ وَيُفَرِّغُ لَهُ مَا فِي نَفْسِهِ، وَإِلَى مَنْ يَبْدُو أَنْ يُسَاعِدُهُ دَائِمًا. فَالْوَحِيدُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلَبِّيَ حَاجَةَ الْإِنْسَانِ هَذِهِ هُوَ مَوْلَاهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾¹. وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْمَعُ وَيَرَانَا دَائِمًا وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَالْمُؤْمِنُ حِينَ يَدْعُوهُ وَيُلْجَأُ إِلَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى وَعْيٍ بِذَلِكَ. وَإِنَّ هَذَا الْوَعْيَ وَحْدَهُ كَفِيلٌ بَأَنَّ يَجْعَلَ الْإِنْسَانَ قَوِيًّا صَمُودًا أَمَامَ مَشَاكِلِهِ، وَأَنْ يَحْمِيَهُ مِنَ الْوَحْدَةِ وَالْيَأْسِ وَالْقَنُوطِ، وَيَمُدَّهُ بِالطَّاقَةِ الْإِيجَابِيَّةِ دَائِمًا.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّ الدُّعَاءَ فِطْرَةٌ كَامِنَةٌ فِي الْإِنْسَانِ. فَلَا إِنْسَانَ بِلَا دُعَاءٍ. الدُّعَاءُ نِدَاءٌ لَا يُفَارِقُ أَلْسِنَةَ النَّاسِ. وَأَمَّا الَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِشَيْءٍ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا حِينَ يَقْعُونَ فِي مَازِقٍ. كَمَا أَنَّ بَعْضًا مِنْ أَصْحَابِ هَذِهِ الدَّعْوَى، يَلْبَسُونَ رَعْمَ ذَلِكَ وَيَحْمِلُونَ مَعَهُمُ السَّلَاسِلَ وَالْأَخْتَامَ وَالْأَسُورَةَ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ، يَسْتَمِدُّونَ مِنْهَا الْحِظَّ وَالتَّائِيدَ.

وَيَأْمَلُونَ مِنْهَا أَنْ تُسَيِّرَ لَهُمْ أُمُورَهُمْ وَأَنْ تَدْفَعَ عَنْهُمْ الْبَلَايَا الظَّاهِرَةَ وَالْخَفِيَّةَ. فَهَذَا الْأَمَلُ وَالْإِرْتِجَاءُ يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ ظَاهِرَةِ الدُّعَاءِ حَتَّى فِي الْعَقْلِ الْبَاطِنِ لَدَى الْإِنْسَانِ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ.

الدُّعَاءُ نِعْمَةٌ كُبْرَى، تَمُدُّنَا بِقُوَّةِ الصُّمُودِ أَمَامَ مَشَاكِلِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَتَحَافِظُنَا عَلَى حَيَوِيَّةِ أَمَالِنَا، الدُّعَاءُ يَبِيْتُ الرُّوحَ فِي عِبَادَاتِنَا وَعِبُودِيَّتِنَا. الدُّعَاءُ بَابُ رَحْمَةٍ وَبِرَكَّةٍ وَضَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا، هُوَ وَسِيلَةٌ مُهِمَّةٌ لِنَبِيْلِ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّتِهِ. وَإِنَّ الْحَرَمَانَ مِنَ الدُّعَاءِ يَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَى حَالَةٍ رُوحِيَّةٍ ضَعِيفَةٍ، يَشْعُرُ فِيهَا بِأَنَّهُ مُجَرَّدٌ، عَاجِزٌ بِلَا سَدَدٍ. كَمَا أَنَّ لِلْحَرَمَانَ مِنَ الدُّعَاءِ دَوْرًا فِي حُدُوثِ حَالَاتِ الْقَلْقِ وَالْخَوْفِ وَالْهَمُومِ وَالضَّغَطِ النَّفْسِيِّ الَّتِي تُعْتَبَرُ مِنْ أَوْبِيَّةِ عَصْرِنَا هَذَا. فَالدُّعَاءُ مِنْ نَاحِيَةِ يُعْتَبَرُ غِذَاءً مَعْنَوِيًّا وَعِلَاجًا فَعَالًا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدُعَاءٍ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ. فَإِمَّا أَنْ يُعْجَلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ يُدْخَرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يُكْفَرَ عَنْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ بِقَدْرِ مَا دَعَا»². فَلَا يَقَعَنَّ أَحَدٌ فِي الْيَأْسِ إِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ مَا أَرَادَ بَعْدَ الدُّعَاءِ. نَعَمْ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ لِكُلِّ دَاعٍ، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَكِيمٌ، وَيُعَامِلُ عِبَادَهُ بِالْحِكْمَةِ. مِثْلَمَا أَنَّ الطَّبِيبَ قَدْ يُعْطِي الْمَرِيضَ دَوَاءً غَيْرَ الدَّوَاءِ الَّذِي كَانَ الْمَرِيضُ يَرْجُوهُ. كَذَلِكَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ يُعْطِي عَبْدَهُ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ مَا كَانَ الْعَبْدُ يُرِيدُهُ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ خَيْرٌ لَهُ. فَقَدْ يَكُونُ دُعَاؤُنَا قَدْ اسْتَجِيبَ، لَكِنَّ وَقْتَهُ لَمْ يَحِنْ بَعْدُ، أَوْ يَكُونُ مَا كُنَّا نَرْجُوهُ فِي غَيْرِ صَالِحِنَا. لِذَلِكَ يَنْبَغِي أَلَّا نَدَعَ الدُّعَاءَ أَبَدًا وَأَنْ نُوقِنَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاهُ.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنا مِنْ عِبَادِهِ الدَّاعِينَ بِالْأَسْتِجَابِ، الْرَاضِينَ عَنْهُ بِأَفْئِدَتِهِمْ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ، آمِينَ.